

بأيها نبداً ؟

تأليف

د . محمد بن عبدالله الهيدان

المشرف العام على مؤسسة نور الإسلام

مؤسسة شبكة نور الإسلام

www.islamlight.net

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد :

السؤال الذي أوجهه .. بأيها نبدأ ؟ نبدأ بماذا .. نبدأ بعملية الإصلاح ؟ هل نبدأ بإصلاح الحكم والأنظمة؟! أم نبدأ بإصلاح المسؤولين ؟ أم نبدأ بإصلاح الشعب؟! أم نبدأ بإصلاح الأسرة؟! أم نبدأ بإصلاح أنفسنا؟! يحكى عن أحد الملوك .. أنه أراد أن يصلح مملكته .. فوضع خطة تستغرق عشر سنوات لإصلاح بلده كاملاً .. وبدأ العمل .. و انتهت العشر ولم تصلح أحوال البلد .. فقرر أن يضع عشرًا أخرى .. ولكن لإصلاح العاصمة لأهميتها .. و انتهت العشر ولم تصلح العاصمة .. فقرر أن يضع خمس سنوات لإصلاح الحي الذي يسكن فيه ومرت الخمس سنوات ولم يحصل أي تغيير .. فقرر أن يتخذ سنة لإصلاح الأسرة التي يسكن معها .. ومرت السنة وما حصل التغيير .. هنا قال .. عرفت الحل والعلاج .. أن يبدأ بتغيير نفسه .

إذن عملية التغيير .. تبدأ بالبدا بالنفس التي بين جنبيك .. ويحلون لنا كثيرا تعليق الأخطاء على غيرنا .. من أجل أن نبرر لأنفسنا فعلى سبيل المثال :
- لما منع القنوات في فترة من الزمن بدأنا جميعا في الامتناع من هذا القرار .. وأصبح فاكهة المجالس .. ولكن السؤال هل يستطيع أحد أن يمنعك أن تقنت أنت في نافلتك؟! إذن لماذا لم تقنت أنت بنفسك؟!
- لما حذف موضوع الولاء والبراء من المناهج .. غضب الناس .. وتكلم الناس في الموضوع .. والسؤال الذي يطرح نفسه .. هل كنا نحرص على شرح الموضوع عندما كنا ندرس هذا الباب أم نمر به مرور الكرام؟! وهل تحظى دروس العقيدة التي تشرح الولاء والبراء وغيرها من الموضوعات بحضور مكثف من قبلنا؟! إذن بماذا نفسر هذه الأفعال من نفوسنا؟!!

يجب أن نعلم أن القضية تتعلق بنا نحن لا بغيرنا .

وهذا ما دل عليه القرآن والسنة :

يقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [(٦) سورة التحريم]

- ويقول الله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٥٣) سورة الأنفال .

- ويقول سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ (١١) سورة الرعد .

- يقول الله تعالى {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ} (٣٠) سورة آل عمران .

- {أَوَلَمْآ أَصَابِكُمْ مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (١٦٥) سورة آل عمران

- عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : (ابدأ بنفسك فتصدق عليها فإن فضل شيء فلاهلك) رواه مسلم .

ولننظر في هدي النبي ﷺ وكيف بدأ عملية التغيير .. لاحظ أولاً حياة النبي ﷺ .. كان التغيير يبدأ بنفسه فعلى سبيل المثال ..

- قال ﷺ : (يا أيها الناس توبوا إلى الله فإنني أتوب في اليوم إليه مائة مرة) رواه مسلم .

- وكان الصحابة يعدون له في المجلس الواحد قبل أن يقوم (رب اغفر لي وتب عليّ إنك التواب الغفور ، مائة مرة) [رواه الترمذي من حديث ابن عمر]

- قيام الليل في رمضان .. لم يأمر النبي ﷺ أصحابه به .. بل بدأ بنفسه ﷺ وأخذ يصلي .. حتى تتابع الناس عليه يصلون خلفه ..

- عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ وَأَجْوَدَ النَّاسِ وَأَشْجَعَ النَّاسِ وَلَقَدْ فَرَعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَانْطَلَقَ النَّاسُ قِبَلَ الصَّوْتِ فَاسْتَقْبَلَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ سَبَقَ النَّاسَ إِلَى الصَّوْتِ وَهُوَ يَقُولُ لَنْ تُرَاعُوا لَنْ تُرَاعُوا وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرِي مَا عَلَيْهِ سَرْجٌ فِي عُنُقِهِ سَيْفٌ فَقَالَ لَقَدْ وَجَدْتُهُ بَحْرًا أَوْ إِنَّهُ لَبَحْرٌ . رواه البخاري .

- كان النبي ﷺ يأمر أصحابه بالصبر .. فيما ترى هل كان النبي ﷺ يصبر أم لا ؟ ألم يتأمر عليه كفار قريش ويضعوا على ظهره سلى الجزور .. فصبر

×

ألم يكونوا يضعوا الشوك في طريقه فصبر ﷺ .. ألم يأتي أحدهم فيخنقه بثوبه فيصبر ﷺ .. بل ألم يصل الأمر إلى التآمر إلى قتله والقضاء عليه ومع ذلك صبر ﷺ وكذا كان يربي أصحابه على الصبر والمصابرة .. إذن بدأ بنفسه وروضها على الصبر ..

- كان يأمر أصحابه بالتواضع .. ويطبق هذا الخلق بنفسه ﷺ .. يدخل الرجل في مجلس محمد ﷺ .. ويسأل أين محمد .. ما له مكان مخصص .. وتأتي الجارية وتمسك بيده ﷺ فينطلق معها ليقضي حاجتها ..

إذن أيها الأخوة .. الشواهد في هذه القضية كثيرة .. وهي أن عملية التغيير تبدأ أولاً بالنفس .

ولكن لماذا يغير الإنسان نفسه ؟

لأسباب كثيرة منها :

أولاً: لكثرة الفتن والمغريات .

ثانياً: لكثرة حوادث النكوس على الأعقاب، مما يحملنا على الخوف من أمثال تلك المصائر.

ثالثاً: لأن المسؤولية ذاتية، ولأن التبعة فردية (يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَفْسِهَا)

رابعاً: عدم العلم بما نحن مقبلون عليه؛ أهو الابتلاء أم التمكين؟ وفي كلا الحالين نحن في أمس الحاجة إلى بناء أنفسنا لتثبت في الحالين.

خامساً: لأننا نريد أن نبني غيرنا، ومن عجز عن بناء نفسه فهو أعجز وأقل من أن يبني غيره، وفاقد الشيء لا يعطيه -كما قيل-^١.

ولكن قد يتساءل الإنسان ما خطوات التغيير التي يمر بها الإنسان ؟

فأقول وبالله التوفيق

القاعدة الأولى: الإقرار بمبدأ العبودية

القاعدة الثانية: التوبة

القاعدة الثالثة: الحمية

القاعدة الرابعة: التغذية

القاعدة الخامسة: السعي في تغيير الغير

القاعدة السادسة: الإلحاح على الله تعالى بالدعاء

القاعدة السابعة: المساندة

القاعدة الثامنة: التخطيط

القاعدة التاسعة: توقي عقبات التغيير .

القاعدة الأولى: الإقرار بمبدأ العبودية

^١ - انظر محاضرة بعنوان عوامل بناء النفس للشيخ علي القرني . . باختصار .

هل أنت عبد لله تعالى ؟

إذا كانت الإجابة بنعم .. ولا شك في ذلك يقول الله تعالى : {إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا} (٩٣) سورة مريم
إذن ما هي مقتضيات العبودية ؟ بمعنى كونك عبدا لله تعالى ماذا يستلزم منك عمله؟! هل يستلزم أن تكون عاصيا لسيدك ؟ هل إذا وجهك بتوجيه معين تبادره بالرفض والإباء ؟ أم يستلزم منك الانقياد والطاعة لسيدك وهو الله ﷻ .. ولذلك أخبر الله تعالى عن عيسى عليه السلام بقوله : {لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا} (١٧٢) سورة النساء .

تصور أن الأنبياء .. أفضل البشر لا يستنكفون من عبادة الله تعالى .. بل وحتى الملائكة الكرام .. الملائكة العظام .. أيضا لا يستنكفون عن عبادة الله تعالى .. فلماذا أنت بالذات تتكبر عن عبادة الله تعالى وتأبى أن يكون التغيير منك أولاً .. فكما أنهم عبيد مطالبون بالتغيير فأنت أيضا عبد لله تعالى مطالب من قبل سيدك بأن تتغير حسب ما يريده منك السيد .. فعلى سبيل المثال : استمع إلى ما يوجهك سيدك بقوله سبحانه :

- {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا} (٣٦) سورة الأحزاب .

إذن لا يحق لك أن تقول في أوامر الله .. هذا يناسبني .. وهذا لا يناسبني .. لماذا ؟ لأنك عبد .. افهم معنى كلمة عبد لله تعالى!!

- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} (٢٤) سورة الأنفال .

فهل استجبنا لأوامر الله تعالى ورسوله x .. والتي فيها حياة القلوب؟! وإذا أقررت بهذا المفهوم .. يا ترى هل تظن أن الله خلقك بلا هدف؟! أليس الله تعالى يقول : (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ} [المؤمنون: ١١٥ ، ١١٦] فالله تعالى يربي فينا أن نعيش لأهداف فهل هذا موجود عندنا؟! ومن رسخ هذا المفهوم في قلبه .. لا يمكن أن يؤثر عليه آخر إلا بإذن الله تعالى .. انظر على سبيل المثال .. سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .. عندما تأتي أمه وتهدهد أنها ستجلس في الشمس ولن تأكل ولن تشرب حتى تموت أو أن يرجع عن دين محمد !! - قال والله لو كان لك مئة نفس ثم خرجت نفس بعد نفس ما تركت دين محمد فكلى واشربي خيرا لك.

القاعدة الثانية : التوبة

من المعلوم أن للتوبة شروطا .. منها الإقلاع عن الذنب .. وهنا بداية التغيير .. أن يترك الإنسان ما هو عليه من المخالفة أو التقصير في العمل .
الشرط الثاني : الندم على ما فات .. فيندم الإنسان على ما مضى من حياته في تفریط في جنب الله تعالى .. مما يدفعه إلى استدراك ما بقي من عمره في فعل الصالحات .. واستثماره في الطاعات ..
والشرط الثالث : العزم على عدم العودة إلى الذنب .. فيكون هدفه من التغيير حقيقي .. وطلبه التدرج في درجة الرقي جاد ..
من المعلوم أن من شروط التوبة .. الشعور بالندم على ما فات .. وهذا الألم هو المحرك للإنسان للتغيير .. وهذا الذي حصل للمرأة الغامدية ... وما عز رضي الله عنهما .

دعنا نسأل السؤال الذي نتوقع أن الكل سيجابوب عليه بألم.

س// ما مدى علاقتكم بالله سبحانه وتعالى؟

هل تشعر برضا في هذه العلاقة أم تشعر بأنك مقصر في حق الله سبحانه وتعالى؟

الكل سيقول مقصر .. لكن

- شخص سيقول مقصر ولا يتوب .. ويستمر على تقصيره وتفريطه .
- وآخر لا .. سيقول مقصر و تحرقه الكلمة ويشعر بألم حقيقي يذيب قلبه .

أيهما يا ترى سيغير من نفسه ؟ لا شك الثاني لأنه يشعر بالألم الحقيقي على تقصيره وتفريطه .

وهكذا يقال في العلاقة مع الخلق .. أين كانوا .. العلاقة مع الوالدين .. مع الأولاد .. مع الأرحام .. مع الأصدقاء .. مع الجيران .

إن من الضروري في عملية التغيير .. من استفراغ الفاسد في الإنسان .. كالدّم الفاسد يتم عملية التخلص منه من خلال عملية الحجامة ونحوها .. وكذا الذنوب تتم عملية التخلص منها من خلال التوبة .. ليتم تنقية القلب منها .. لأن الذنوب إذا تراكمت على قلب الإنسان صعب عليه التغيير بل ربما ختم الله على قلبها والعياذ بالله .. يقول النبي x : (تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً فأبى قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء وأبى قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض والآخر أسود مرابادا - لون بين السواد والغبرة - كالكوز مجخيا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب من هواه) رواه مسلم .

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : (إن المؤمن إذا أذنب ذنباً، كانت نكتة سوداء في قلبه فإن تاب ونزع واستعتب صقل قلبه وإن زاد زادت حتى تعلق قلبه فذلك الران الذي قال الله تعالى ﴿ كلاب ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾ . رواه الترمذي وغيره .

القاعدة الثالثة : الحمية

من قواعد تغير النفس الحمية من أي داء قد يصيب الإنسان بخلل في إيمانه ..وتقصير في طاعته لربه ..ما رأيكم لو أمر طبيب أحد المصابين بمرض السكر بأن عملية العلاج لا بد فيها من الحمية من كذا من أصناف الطعام التي يحبها ..يا ترى هل المريض يتركها أو يلتهم الطعام؟! الواقع يقول أن جل الناس يتقيدون بالحمية ..وفيه المقتصر لكنهم قليل ..وهكذا في القلب الذي بين جنبيك ..يجب أن تحميه من الذنوب التي تسبب قسوته وبعده عن الله تعالى ..لذا فالحمية علاج لتغير النفس ..ولكن لا بد من تحديد المرض وأسبابه للعلاج ..فمثلاً :

قد يقول قائل : أنا لا أصلي الفرض ؟

فهنا حتى تنفع الحمية ..ننظر ..ما الأسباب التي تمنعك من الصلاة ؟ قد تكون الصحبة السيئة ..وقد تكون القنوات الفضائية ..فإذا حصرت الأسباب يأتي العلاج ..فتترك الصحبة السيئة ، وتخرج القنوات الفاسدة .

مثال آخر : قد تقول : أنا علاقتي مع جاري سيئة؟!!!

هنا ننظر في الأسباب ..قد يكون بسبب الأولاد ومشاكلهم ..وقد يكون من أجل وضع السيارة أمام منزل الجار ..فإذا حصرت الأسباب يأتي العلاج ، وهي ترك ما كنت تفعله سابقاً ..وهذا جزء من العلاج وهو الحمية ، وبقي البناء سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى .

لقد ذكر أهل العلم أن الذي يصب في القلب أربعة :

- عن طريق السمع ..فكل ما تسمعه يصب في قلبك ..فإن كان

الكلام الذي تسمعه يحي القلب حيي قلبك ، وإن كان ما تسمعه من مزمار الشيطان أو غيبة أو نميمة أو نحوها قسى قلبك ..والنبي x يقول (والأذن تزني وزناها السمع) .

٢ . عن طريق البصر : وهو من الخطورة بمكان كما قال الأول :

كم نظرة فتكت في قلب صاحبها فتك السهام بلا قوس ولا

وتر

يقول x : (والعين تزني وزناها النظر) .

٣ . عن طريق اللسان : وكلمة وقعت في قلب صاحبها ..وكم شبهة لعبت في عقول ..ولذا جاء في صحيح البخاري من قول النبي X : (من يضمن لي ما بين لحييه وفخذه أضمن له الجنة) .

٤ . الفكر : ومما يصب في القلب ويؤثر فيه الأفكار التي تتوارد على الإنسان ، كما جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : (يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول من خلق ربك ؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته) رواه البخاري ومسلم .

وهذه الأفكار إما أن تكون في قضايا الشهوات والملذات كالنساء والمال ونحوها ، أو تكون شبهات ...فالإنسان يحتمي من الأمرين .

القاعدة الرابعة : التغذية

ما رأيكم لو نشرت وسائل الإعلام خبرا مفاده انتشار مرض خطير في البلاد .. وطالبت وزارة الصحة سرعة المبادرة لأخذ اللقاح المضاد لهذا المرض .. هل يتأخر الناس في أخذه !!؟

إذن إذا كان عندنا مبادرة سريعة للاهتمام بأبداننا ..فلماذا لا نهتم أكثر لتغذية قلوبنا ..لأن حياة القلوب أهم من حياة الأبدان .

وتغذية الإنسان نفسه تختلف باختلاف الجانب الذي تريد تغييره ..فهل تريد تغذية الجانب الروحي ..أو الجانب الاجتماعي ..أو الجانب الفكري ..أو الجانب المالي ..**لكن دعونا نتحدث عن آلية تغذية الجانب الروحي**

لأهميته ..فهذا الجانب يغذى كما يلي :

أولاً : العناية التامة بالفرائض ...وعدم التهاون بها ..روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ إن الله قال (من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه)

ثانياً: التزود من النوافل ..جاء في الحديث السابق : (وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه ..) .

وهذه النوافل على قسمين :

القسم الأول : ذاتية ..كالصلاة والصيام والأنكار ونحوها ..فيأتي الإنسان منها ما يستطيع ..وكل ميسر لما خلق له ..فبعضنا قد يفتح الله عليه بقراءة القرآن ، وبعضنا بالصيام ، وبعضنا بالصلاة والقيام .

القسم الثاني : متعدية . كطلب العلم ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والجهاد في سبيل الله ، والإنفاق في وجوه الخير المختلفة ، والدعوة إلى الله تعالى ، والأوقاف الخيرية .
وفي تغذية النفس بالطاعة تحتاج إلى تنبيهات :

١ - التدرج :

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : (إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة . رواه البخاري .

فبعض الناس يريد أن ينتقل من الصفر إلى الألف مباشرة .. وهذا فيه صعوبة ظاهرة .. ولكن يربي نفسه تربية حتى تتروض على العبادة والطاعة .. ويضع هذا التدرج في وقت زمني كأن يكون أسبوعي أو شهري أو سنوي .. ويختلف هذا باختلاف طبيعة العبادة التي يريد أن يطبقها .. فعلى سبيل المثال :

- فأنا الآن أريد أن أحافظ على الفرض في أول وقته في هذا الأسبوع (وهذا مشروع) وبدأت اعمل به فحققته .

- المشروع الثاني : سأصلي سنة المغرب وأحافظ عليها والتزم بها .
 - في باب الصيام يصوم ثلاثة أيام من كل شهر .. فإذا استمر فترة من الزمن وتعودت نفسه على ذلك صام الإثنين .. وهكذا .

- في باب القيام .. يقوم ثلاثة ركعات .. ويستمر أيضا فترة من الزمن فإن رأي رغبة من نفسه زاد زيادة تستطيعها نفسه .. وهكذا

- في باب النفقة .. يخصص مبلغاً شهرياً لينفقه في مشروع خيري ..

- في باب القرآن ..

٢ - المداومة على العمل :

روى مسلم في صحيحه عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا عمل عملاً أثبته وكان إذا نام من الليل أو مرض صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة ، وجاء في الحديث قال كان x عمله ديمه ، أي يداوم عليه ولا يقطعه .

وقال x : (إن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل)

القاعدة الخامسة : السعي في تغيير الخير

إن من أشد الناس تمسكا بالمبادئ هم أصحابها الذين يدعون إليها .. فإذا تبنى الواحد من قضية الدعوة إلى الله تعالى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فسيكون هو أول الناس حرصاً على الامتثال بالمعروف ، والانزجار عن المنكر ..

القاعدة السادسة : الإلحاح على الله تعالى بالدعاء

التغيير ليس سهلاً، لكننا نستطيع أن نسهل عملية التغيير بأن نستعين بمسبب الأسباب سبحانه وتعالى. فإذا كان إيماننا به قويا لن يقف أمامنا شيء فنحن ضعاف بأنفسنا أقوىاء بالله ((ما ظنك باثنين الله ثالثهما)) . فكلما أكثرنا التضرع بين يدي الله تعالى ..وأظهرت له المسكنة والفاقة كلما كانت الإجابة أقرب ..يقول الله تعالى : ﴿ وقال ربكم ادعوني استجب لكم .. ﴾ وقال سبحانه : ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب .. ﴾ وجاء في صحيح مسلم عن أبي ذر في الحديث القدسي : (يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم)

القاعدة السابعة : المساندة

الإنسان كما يقال قليل بنفسه كثير بإخوانه ، فقد يمل أو يفتر أو يكثر عليه المعوقون ، فوجود المساندة له في الطريق والتغيير يجعله يثبت على ما سعى إليه فهذا الرسول X يوصيه ربه بأن يصبر في مجالسة الصالحين كما قال تعالى : (واصبر نفسك ..) وفي قصة الإمام أحمد رحمه الله شاهد على ما نقوله جاء في السير: أن [أبا جعفر الأنباري] قال: لما حُمل الإمام أحمد إلى المأمون أخبرت، فعبرت الفرات، وجنته، فسلمت عليه، وقلت: يا إمام أنت اليوم رأس، والناس يقتدون بك؛ فوالله لئن أحببت إلى خلق القرآن ليجيبن خلق كثير، وإن لم تجب ليمتنعن خلق كثير، ومع هذا فإن الرجل إن لم يقتلك فإنك تموت، لا بد من الموت فاتق الله ولا تجبه .ويقول الإمام أحمد: ما سمعت كلمة مذ وقعت في هذا الأمر أقوى من كلمة أعرابي كلمني بها في <رحبة طو>، قال : يا أحمد إن يقتلك الحق مت شهيداً، وإن عشت عشت حميداً فقوى بها قلبي

القاعدة الثامنة : التخطيط

كلما خطط الإنسان ؛ عرف ماذا يريد ؟ وكيف سيصل إليه ؟ وأصبح التغيير أسهل . الدراسات الإدارية أثبتت أن كل ساعة نقضيها في التخطيط توفر ثلاث إلى أربع ساعات عند التنفيذ . إذاً التخطيط ليس تضييعاً للوقت فالتخطيط وعى وفهم وبنا وتوفير عند التنفيذ .

القاعدة التاسعة : توقي عقبات التغيير

هناك عقبات كثيرة تعترض من أراد أن يغير من نفسه منها :
العقبة الأولى : الهوى

وقد عد الله تعالى من اتبع هواه أنه من أضل الناس يقول الله تعالى : {فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} (٥٠) سورة القصص .
ونهى الله تعالى نبيه داود أن يحكم بهواه فقال {يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ} (٢٦) سورة ص

وفي المقابل وعد الله تعالى من نهى النفس عن الهوى بالجنة فقال {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى . فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى} (٤٠) سورة النازعات .

العقبة الثانية : النفس

يقول الله تعالى : (إن النفس لأمارة بالسوء) فنفسك التي بين جنبيك تحتاج إلى جهاد عظيم .. لأنها تصرفك عن طاعة الله تعالى ، فتقول لك أحيانا ... أنت الآن في مرحلة الشباب .. إذا كبرت تتوب وتعمل الصالحات .. أو تقول لك رحمة الله واسعة وسيغفر الله لك .. أو إن شاء إذا جاء رمضان تتوب .. أو إذا حجيت بيت الله الحرام تتوب .. وهكذا .. قال عبد الله بن عمر لمن سأله عن الجهاد ؟ ابدأ بنفسك فجاهدها وابدأ بنفسك فاغزها ^٢ .
وحتى تتم المجاهدة لابد أن تعرف طبيعة هذه النفس التي بين جنبيك وقد ذكرها أهل العلم فقالوا :

للنفس صفتان ^٣ :

- انهماك في الشهوات

- وامتناع عن الطاعات .

فإذا علمت ذلك فجهاد النفس يكون بحسب ذلك .

• جهاد النفس أربع مراتب :

١ - حملها على تعلم أمور الدين

٢ - ثم حملها على العمل بذلك

٣ - ثم حملها على تعليم من لا يعلم

٤ - ثم الدعاء إلى توحيد الله وقتال من خالف دينه وجدد نعمه ^٤ .

العقبة الثالثة : الشيطان

٢ - [جامع العلوم والحكم ج ١ / ص ١٩٦]

٣ - فتح الباري ج ١١ / ص ٣٣٨

٤ - فتح الباري ج ١١ / ص ٣٣٨

لقد تكاثرت الآيات في كتاب الله تعالى في بيان التحذير من هذا العدو الذي يتربص بنا الدوائر ، يقول الله تعالى : (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا) وقد بين الله تعالى أن للشيطان خطوات لإضلال بني آدم يقول الله تعالى في التحذير منها : (يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان (...)

- وخطوات الشيطان التي يسلكها في التغرير بالناس كالتالي :
- الخطوة الأولى : المحاولة لإدخاله في دائرة الكفر والشكر .
 - الخطوة الثانية : المحاولة لإدخاله في دائرة البدعة .
 - الخطوة الثالثة : المحاولة لإدخاله في دائرة الكبيرة .
 - الخطوة الرابعة : المحاولة لإدخاله في دائرة الصغائر .
 - الخطوة الخامسة : المحاولة لإدخاله في دائرة المباحات .
 - الخطوة السادسة : المحاولة لإشغاله بالمفضول عن الفاضل .
 - الخطوة السابعة : تسليط الشيطان عليه ترغيبا وترهيبا .

والشياطين على قسمين :

- شياطين الجن ، وقد علمنا القرآن كيف نتقي منهم فقال : (وإما ينزغك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله) .
- شيطان الإنس وهو أخطر الشياطين ..

العقبة الرابعة : الدنيا

ومن عقبات التغيير هذه الحياة بزخرفها وزينتها وبهرجها ..كلها تدعوك إلى الانغماس بها ..والتعلق بها ..ولذا حذرنا الله تعالى منها كثيرا في القرآن فقال : (ولا تغرنكم الحياة الدنيا) (إنما الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار) وفتن الدنيا كثيرة ..منها النساء ، والمال ، والمنصب ، والجاه والمكانة وغيرها من الفتن .

العقبة الخامسة : الخوف

من عقبات التغيير الخوف ..وللخوف صور منها

(١) الخوف على المكاسب:-

الإنسان وصل إلى أمور وحقق إنجازات يخشى انه لو غيرها يخسرها وهناك قاعدة قالها احد الناس قال: نحن عندنا (غير تُغيّر) .

(٢) الخوف على العلاقات:-

أنا استطعت أن أبني علاقات معينة في واقع معين وفي ظروف معينة ومن وعى معين وفكر معين وأسلوب معين في التعامل وأخشى أنى لو غيرت تفكيري أو غير آرائي أو غير طريقتي أو أن بدأت أتحدى هذا الواقع أو اطرح أطروحة جديدة أن اخسر ربعي. لذلك بعض الناس يبدأ

يحاول أن يغير فيصطدم مع أهله والمحيطين به ويسأل نفسه لماذا سأقوم بذلك؟ إذاً خليني على ما أنا عليه.

٣) الخوف من المجهول:-

لأننا عندما نغير و نكون مقبلين على مستقبل مجهول غير معروف ونتائج غير مضمونة لا ندرى أن كنا سننجح أو لا ننجح و الإنسان بعادته يخاف من المجهول. وهناك مثل شعبي يقول: (امسك مجنونك ليأتيك احسن منه) وهذا خوف من المجهول وتأتى مثل هذه الأمثال لتزرع مثل هذه الصفة صفة الخوف من المجهول.

٤) الخوف من المعارضة:-

الإنسان يحب أن يكون متوافق مع الناس ويحب أن تكون علاقته طيبة مع الكل وخاصة النساء عندهن حرص غير عادى على إرضاء الجميع والذي يريد إرضاء الجميع لا يعارض ، والذي لا يعارض لا يغير لأن التغيير بطبيعته أنك ستعارض أمر واقع أو فكر أو قرار فالذي يريد أن لا يعارض لن يغير ، والذي يحرص على إرضاء الجميع لن يستطيع أن يعارض ولذلك لن يغير. و أي واحدة من النساء تريد أن تدخل في موضوع التغيير لتبشّر بسوء علاقة.

٥) الخوف من نقص القدرات:-

أنا لا اقدر على التغيير لأنه لا يوجد عندي قدرات أو مال أو منصب. لو الكل فكر بهذه الطريقة من الذي سيصنع التغيير. محمد صلى الله عليه و سلم والذي تم اختياره من قبل الغربيون كأعظم مغير في التاريخ .. عندما طرحوا اكبر مئة شخصية مؤثرة في التاريخ اختاروا رقم واحد محمد صلى الله عليه وسلم. إذاً باختصار.. القدرات تكتسب لا تأتي.

العقبة السادسة : التسوية

فكل يوم يأتي يقول غدا إن شاء الله تعالى سأبدأ مشروعى في التغيير .. وهكذا يستمر الإنسان بسوف ولعل إلى أن ينتهي العمر ولم يحرك ساكنا .

٥. ثمرات التخبير :

- ١ - الحصول على الدرجات العالية في الجنة .
- ٢ - الحصول على الأهداف المطلوبة .